



القول الثالث: أنها في جميع الكفار، وكان هذا قبل أن يأمر النبي ﷺ بقتال أهل الكتاب، ثم نسخ وأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة - وهو قول السدي، وهكذا نقل عن ابن مسعود وابن زيد أنها منسوخة بآية السيف. وقال الباقر إنَّها محكمة.

القول الرابع: أن معنى قوله تعالى: ﴿لا اكراه﴾ أي لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب أنه دخل مكرهاً؛ لأنه إذا رضى بعد الحرب وصحَّ إسلامه فليس بمكره، ومعناه: لا تنسبوه إلى الاكراه، فيكون كقوله: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً﴾ (النساء: ٦٤).

القول الخامس: أن المراد ليس في الدين اكراه من الله سبحانه ولكن العبد مخير فيه، لأن ما هو دين في الحقيقة هو من أفعال القلوب إذا فعل لوجه وجوبه، فأما ما يكره عليه من اظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة، كما أن من أكره على كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لم يكن كافراً، والمراد الدين المعروف وهو الإسلام ودين الله الذي ارتضاه، وهذا الوجه قريب مما ذكرناه سابقاً.

المقالة الثالثة عشرة

في قوله سبحانه: ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾

و فيه رشحات:

[الرشحة الأولى]

في اللغة

يقال: «بان الشيء» و «استبان» و «تبين»، إذا ظهر ووضح، ومنه المثل: «قد تبين الصبح لذي عينين».

قال بعض العلماء: «عندي أن الايضاح والتعريف إنما سمى بياناً؛ لأنه يوقع الفصل و البينونة بين المقصود وغيره»^١.

و الرشد في اللغة معناه اصابة الخير، وفيه لغتان: رَشَد يرشد رشداً، و الرشاد مصدر ايضاً كالرشد.

و الغي نقيض الرشد، يقال: غوى يغوى غياً و غواية: إذا سلك غير طريق الرشد.

١. تفسير الرازي، ج ٧، ص ١٦

الرشحة الثانية في انتظامه بما سبق

لما ذكر الدين و أنه لا يحصل بالاكراه شرع في شرح ماهيته و قال: ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ أى: وضح و انكشف مما ذكر سابقاً من شواهد المعرفة أن الدين الحقيقى الذى هو سلوك سبيل الله و قطع المنازل و المراحل التى بين العبد و مولاه المسمى بالرشد و الهدى من الضلال الحقيقى الذى هو سلوك سبيل الشيطان و الهوى و هو المسمى بالغواية و الغي . و وجه هذا التبين و الانكشاف أن طريق الحق ليس إلّا واحداً، و طرق أهل الضلال و إن كانت مختلفة متكررة لا يمكن احصائها، لكن إذا عرف هذا الواحد و انكشف لدى العارف البصير بالصيرة الباطنة أنه طريق الحق يتبين و يتحقق أن ما سواه طريق الضلال . فجميع طرق الضلال يعرف بمجرد معرفة طريق الحق ، إذ يصدق على كل منها أنه غير الحق و ماذا بعد الحق إلّا الضلال . و لهذا ورد عن النبى ﷺ: «ستفرق أمتى على ثلاث و سبعين فرقة و الناجية منها واحدة» .^١ و هذا العدد المعين لما سوى الفرقة الناجية إنما هو بحسب الأجناس الكلية، و إلّا فهى بحسب الخصوصيات فغير محصورة كما مرّ، و مع هذا من عرف طريق النجاة يعلم أن غيره طريق الهلاك .

الرشحة الثالثة

في تحقيق معنى «التبين» في هذا المقام

اعلم أن معنى ﴿تبين الرشد من الغي﴾، تميز الحق من الباطل، و الايمان من الكفر بحسب الواقع و بما يلزم من الحجج و البيّنات الدالة و البراهين الواضحة عند من نظر و تدبّر فى تلك الأدلة و البراهين، لا أن كل مكلف تنبه به، لأن ذلك خلاف ما هو المعلوم من حال أكثرهم، لأنهم إمّا جهال محضه و إمّا مقلدون . و المقلد كالجاهل فى عدم كونه عارفاً بصيراً، و يمتاز عنه فى كونه معتقداً، و درجة المعرفة فوق الاعتقاد، لأنها ممّا يحصل معها الانسراح الباطنى و المشاهدة المعنوية دون اعتقاد المقلد، إذ لا انسراح و لا اطمينان معه للقلب، و إنما الفائدة فيه مجرد الاتباع للقائد العارف فى صورة الأعمال الشرعية و

الأوضاع الدينية، الموجبة لرياضة القوى البدنية، و تطويع النفس الأمانة لثلاً وصول على النفس المطمئنة .

و بذلك يحصل للنفس الانساني الامتياز عن سائر النفوس الحيوانية التي لامعاد لها في الآخرة، و عن النفوس الشقية المتمردة عن طاعة الشريعة التي لها العقوبة الآخروية، و ذلك لأن الاقتداء بأهل الكمال - و لو في صورة الأعمال - مع خلو النفس عن رذائل الأوصاف و قبائح الأعمال، و سذاجة القلب عمماً يضاد و نيل الرحمة من المبدأ الفعّال مع صدق النية و صفاء الطوية يوجب أن ينال المقتدى نصيباً من السعادة الآخروية و اللذات الآجلية التي للعارفين و أن يتنور ذاته بنور المتابعة لهم و الانخراط في سلكهم، و الاستسعاد بسعادتهم على نهج التبعية و العرض - لا على وجه الاستقلال، إذ السعادة الحقيقية منوطة بالمعرفة الحقيقية، بل هي عينها، فحيث لا استقلال في المعرفة لا استقلال في السعادة، و لكن بحسب من تشبهه يقوم فهو منهم^١ كان للمتشبه بأهل الكمال بقدر تشبهه بهم ضرباً من السعادة في المآل .

و الله الهادي الى طريق الصواب و به الاستعاذة من الضلالة و الغواية في سبيل الآخرة و المآب .

المقالة الرابعة عشرة

في قوله سبحانه: ﴿فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾

و فيه تحقيقات :

[التحقيق الأول]

في اللغة

قال النحويون: «الطاغوت» على وزن فعلوت، نحو جبروت و رحموت و «التاء» زائدة فيه، و هي مشتقة من «طغى» و تقديره طغوت إلّا أنّ لام الفعل قلب الى موضع العين كعادة العرب في القلب نحو: الصاعقة و الصاقعة، ثمّ قلبت الواو ألفاً لتحركها و انفتاح ما قبلها .

و صاحب مجمع البيان - رحمة الله - على أنّ أصلها «طغيوت» بدل من الياء، يدلّ على

١ . مشرق الشمسين، ص ٤٠٥

